ونقل عن مصادر دبلوماسية موثوقة أن وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، اندريه غروميكو، رفض الاستجابة الى الدعوات التي تطالب بتدخل سوفياتي مباشر في لبنان، وذلك حين اجتمع مع رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف.، فاروق القدومي، في موسكو، خلال الاسبوع الاول من تموز (يوليو) ١٩٨٢[١٠٧]. واضاف الديبلوماسيون العرب المطلعون على المحادثات، ان السوفيات ابلغوا القدومي بانهم لا يرغبون في التورط في قضية لبنان، وان غروميكو قد اعلن ان الجهود السوفياتية سوف تقتصر على تزويد السوريين والفلسطينيين بالاسلحة التي فقدوها خلال القتال، وعلى محاولات سرية ـ والمفترض ان تتم مع الولايات المتحدة ومن خلالها ـ للتوصل الى انسحاب اسرائيلي[١٠٨]. وقد انحصر العمل السوفياتي، من الناحية العسكرية، على «اقامة خط تموين جوي متواضع لتزويد سوريا بالسلاح، لكنه كان دون مستوى الامدادات التي ارسلت العام ١٩٧٣ بكثير»[١٠٩]؛ ومن الناحية الدبلوماسية، لم يتعد تبادل عدد من الرسائل التي تفتقر الى الطابع التهديدي، بين الاتحاد السوفياتي ورونالد ريغان، وبعض الدعم السوفياتي للعرب في الامم المتحدة، واخيراً، ارسال برقية الى عرفات يؤكد السوفيات فيها وقوف موسكو خلفه ـ مستخدمين تعبيرهم المعهود ـ بنسبة الف بالمئة»[١١٠].

ونتيجة للتقصير السوفياتي، بدأت الاصوات العربية ترتفع منتقدة الموقف السوفياتي. وفي مواجهة هذه الانتقادات تميز الرد السوفياتي بطابع دفاعي وحمّلت التعليقات السوفياتية مسؤولية انهزام الفلسطينيين للخلافات العربية الداخلية وعدم وحدتهم، و «للموقف ذي الوجهين» الذي يتبعه عدد من الانظمة العربية، و «للتدريب الفلسطيني الرديء»![١١١].

وعلى ضوء ابرز المواقف، هذه، التي حكمت مسيرة العلاقة السوفياتية الفلسطينية، والاستنتاجات والتقييمات التي ادرجت بشأن الموضوع عموماً في سياق ما تقدم، نخلص كذلك، في ختام هذه الدراسة، الى استنتاج ملاحظات رئيسة، وهامة، حددت: على مدى الفترة موضوع البحث، وتيرة التعامل السياسي بين الاتحاد السوفياتي من جهة وم.ت.ف. من جهة أخرى، وهو تعامل لم يكن ناجحاً تماماً. هذه الملاحظات هي:

١ ـ إن «المصالح المتبادلة» وضعت في اعتبار متميز عن سواه من الاعتبارات. وكنتيجة لذلك، كانت العلاقة السوفياتية ـ الفلسطينية تبدو في أحسن حالاتها عندما تتقاطع مصالح الطرفين، ويشوبها فتور ما عندما لا تتوفر كامل العناصر المطلوبة لعلاقة مستقرة.

٢ ـ إن كفة الاعتبارات السياسية ذات الطابع «الواقعي» في السياسة السوفياتية كانت راجحة على كفة الاعتبارات العقائدية. لذا، فإن هذا البعد السياسي المحض في سياسة السوفيات الخارجية ورغبتهم في تبرير تطلعاتهم السياسية في المنطقة تبريراً ايديولوجياً، قد أدى الى التغيير الايديولوجي الذي حدث في الخمسينات ثم الى السياسة التي اتبعوها فيما بعد. فخلال الخمسينات والستينات، لعب حلفاء الاتحاد السوفياتي دوراً هاماً في تحديد الموقف السوفياتي من القضية الفلسطينية وم.ت.ف. وفي السبعينات، شعر السوفيات، نتيجة لتعاظم شأن منظمة التحرير واتساع قاعدتها الشعبية، ان بمقدورهم الاستفادة من ذلك لجهة تعزيز نفوذهم في المنطقة، لا سيما بعد ان تخلى السادات عنهم ـ كما ذكرنا ـ. وحينما سنحت الفرصة لهم لتعزيز خطوات ذات طابع ايديولوجي لم يترددوا. اما في الثمانينات، فقد تشتتت الرؤية السوفياتية ما بين الظهور بمظهر الاستقامة الايديولوجية من جهة، وعدم الاستعداد للتورط في مجابهة عسكرية مع الولايات المتحدة الاميركية لا يعرف احد كيف يمكن ضبطها او التنبؤ بنتائجها من جهة